

فن الزخرفة على الأواني الفخارية بمنطقة خنشلة.

Decoration art on traditional pottery in Khenchla

بوجمعي مريم^{*1}¹ المركز الوطني للبحث في علم الآثار، (الجزائر)، merieme.boudjemai@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025-07-13 تاريخ القبول: 2025-09-04 تاريخ النشر: 2025-12-20

ملخص:

يتميز الفخار التقليدي في الريف الجزائري عامة والفخار بمنطقة خنشلة على وجه الخصوص بمظاهر زخرفية متنوعة، أغلبها عبارة عن رموز مستوحاة من الفنون القديمة بدليل تواجدها على بعض الرسومات والنقوش الصخرية التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، كما نجدها أيضا على الفخاريات القديمة لسكان شمال إفريقيا، إذ يرى بعض علماء الآثار أن هذه المواضيع هي طراز ذو عناصر طبيعية وكتابية مستمدة من حروف التيفيناغ وهي نفس المواضيع الزخرفية التي نجدها مستمرة على الفخار التقليدي إلى وقتنا الحالي. نجد هذه الرموز على مختلف المنتجات التقليدية فهي تزين المساكن والمنسوجات والفخار التقليدي، وتمثل أوشام المرأة والتي لها دلالاتها الخاصة. من هذا المنطلق سنحاول في هذا العمل إبراز الدلالات الرمزية لبعض العناصر الزخرفية المتداولة في المجتمع الريفي في منطقة خنشلة استنادا على حرفة صناعة الفخار.

الكلمات المفتاحية: المظاهر الزخرفية؛ الفن التقليدي؛ الفخار التقليدي؛ الرموز؛ الرمزية؛ خنشلة.

Abstract :

Traditional Algerian rural pottery in general, and pottery from the Khenchela region in particular, is characterized by various decorative aspects, most of which are symbols inspired by ancient art, as evidenced by their presence on certain cave drawings and engravings dating from the prehistoric period.

They are also found on ancient North African pottery, and archaeologists believe that the decorations used to adorn the pottery were inspired by nature and the letters derived from the tifinagh alphabet. These are the same decorative motifs that can still be found today on the region's traditional pottery.

These symbols can be found on a variety of traditional products, including home decorations, traditional pottery and even female tattoos, all of which have their own connotations. In this work, we will attempt to give some symbolic connotations to these decorative elements, characteristic of this rural society, through the craft of pottery from the Khenchela region.

Keywords: decorative aspects ; traditional art ; traditional pottery ; symbols ; symbolic ; Khenchla

مقدمة:

لعبت صناعة الفخار التقليدي دورا هاما في الحياة اليومية لسكان الأرياف الجزائرية فهي حرفة نسوية محضبة كانت ولا تزال العامل الأساسي الذي اعتمدت عليه نساء المجتمع الريفي لتلبية حاجياتهن

* المؤلف المرسل.

اليومية عامة كانت أو خاصة من أكل وشرب وتخزين وإنارة وغيرها من الوظائف الأخرى، إضافة إلى استغلالهن لها كوسيلة من وسائل التعبير عن انطباعاتهن الروحانية والفكرية وهذا من خلال العناصر الزخرفية المختلفة التي تميز مصنوعاتهن التقليدية والتي هي رموز ذات تأثير قديم جدا بدليل تواجدها على بعض الرسومات والنقوش الصخرية التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، كما نجدها أيضا على الفخاريات القديمة لسكان شمال إفريقيا.

تعتبر ولاية خنشلة من المناطق التي لا تزال محافظة على هذا النوع من الموروث الحضاري، وهذا من خلال مختلف الأواني الفخارية التي تميز هذه المنطقة والتي تحمل كغيرها من المقتنيات الفخارية رسومات وزخارف متنوعة، دالة على رمزية يجب تفكيك معانيها.

من خلال ما سبق سوف نحاول في هذا العرض توضيح وشرح دلالات بعض العناصر الزخرفية استنادا على حرفة صناعة الفخار التقليدي بمنطقة خنشلة، وهذا من خلال دراسة نماذج من هذه المنتجات الحضارية المعروضة بكل من المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة والمتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالجزائر العاصمة.

لمعالجة هذا الموضوع طرحنا الإشكالية التالية: ما هي أشكال التعبير الفني والروحي والفكري في وسط المجتمع الريفي بمنطقة خنشلة؟ لتسليط الضوء عن هذا الموروث الحضاري اللامادي في الجزائر من خلال دراسة عينة خاصة بمنطقة خنشلة خاصة من ناحية المعاني والدلالات الرمزية لهذه العناصر الزخرفية استنادا على حرفة الفخار التقليدي.

1.. تقنيات تنفيذ الزخارف على الفخار التقليدي بمنطقة خنشلة:

تعتمد زخرفة الفخار التقليدي بمنطقة خنشلة على التقنيات المعروفة، كتقنيات الحز والضغط والفرشاة، وهي الأكثر استعمالا ويكون ذلك قبل مرحلة الحرق.

1.1.. الزخرفة بالحز:

بالنسبة لتقنية الحز تقوم الحرفية بإحداث خدوش على الأواني الفخارية في حالتها اللينة للحصول على العنصر الزخرفي بالاستعانة بأداة مدببة تصنع عادة من الخشب أو العظم (الديب و الجمال ، الصفحات 21-22).

2.1.. الزخرفة بالإضافة:

تحقق هذه العملية بصنع أشكال زخرفة بواسطة اليد أو القالب ثم تلصق على الآنية.

3.1.. الزخرفة بالفرشاة:

تعتبر تقنية الزخرفة بالفرشاة التقنية الأكثر اعتمادا من طرف المرأة الريفية بمنطقة خنشلة، إذ تستخدم وسائل جد بسيطة في تنفيذ الزخارف على أوانيها الفخارية تتمثل في مجموعة من الريشات المتعددة السمك بحسب سمك الزخرفة المراد رسمها، وهي مصنوعة من شعر الماعز (Moreau, 1976, p. 46)

2.. أنواع الزخارف المنفذة على الفخار التقليدي بمنطقة خنشلة:

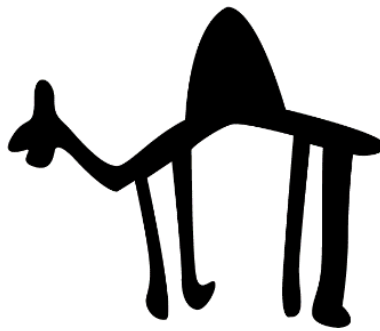
بناء على الدراسة التي قدمها الباحث رابح أرول، سنحاول فيما يلي إعطاء بعض العناصر الزخرفية التي تتميز بها منطقة خنشلة مرفوقة بشرح لدلالاتها الرمزية (أرول، 2021، الصفحات 384-430) وهذا من خلال بعض الأواني الفخارية الخاصة بالمنطقة، والتي سنقدمها على شكل بطاقات تقنية لاحقا.

1.2.. الزخرفة الحيوانية:

1.1.2.. الجمل:

شاع استعمال هذا العنصر خاصة في الفترة الإسلامية، إذ يعتبر أعلى ثروة عند مالكة، كما أنه يحظى بمكانة خاصة عند المجتمع المسلم، كما أن الله عز وجل أمر بالتأمل في هذا الحيوان للدلالة على قوته وعظمته قال تعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت (القرآن الكريم، الغاشية، الآية 17)، وقد استعمل الجمل للدلالة على الصبر.

شكل 1: رسم الجمل على الأواني الفخارية بمنطقة خنشلة



المصدر: أرول رابح، 2021، ص 389.

2.1.2.. الثعبان:

يمثل في الرمزية البربرية الحياة بشكلها البدائي ويمثل أيضا القوى التي تنشط الكون وتخصبه، ويظهر الثعبان المرئي حسب التقاليد القديمة لشعوب البحر المتوسط كتجسيد موجز للثعبان غير

المرئي، وهو يمثل المبدأ الحيوي وجميع قوى الطبيعة من حرارة ورطوبة وظل وضوء (Moreau , 1976, p. 178)

بالإضافة إلى هذه الرمزية، يمثل الثعبان رمزيات أخرى وهذا بفضل انتشاره الكبير في الكثير من حضارات العالم، فهو رمز للحكمة والمعرفة والشفاء، وبالمقابل فهو رمز للخداع والسحر والشؤم (بلال العلي، 2012، صفحة 136)

شكل 2: رسم الثعبان على الأواني الفخارية بمنطقة خنشلة



3.1.2.. السمكة:

يعتبر هذا الكائن المائي رمز الوجود والحياة والتجديد الدوري، كما يمثل رمز الخصوبة نظرا لقدرته الكبيرة على التكاثر (Moreau , 1976, p. 174)

شكل 2: رسم السمكة على الأواني الفخارية بمنطقة خنشلة



2.2.. الزخرفة النباتية:

1.2.2.. النبتة:

انتشر استعمال هذا العنصر على فخار مناطق الريف الجزائري، وهذا برسمه أحيانا داخل معين (رمز الخصوبة)، وهو رمز للفتوة والتجديد الدوري في الكون (Moreau , 1976, p. 156)

شكل 3: رسم النبتة على الأواني الفخارية بمنطقة خنشلة



2.2.2.. سنابل القمح:

يعتبر هذا العنصر صورة للآلهة ديميتير التي تعتبر مصدر هذا المحصول في حوض المتوسط الزراعي القديم (Moreau , 2015, p. 28)، ويحوي دالتين متضادتين وهما:

- الحياة: وهي المتمثلة في النبتة المزهرة.
- الموت: وهو المتمثل في الجذور وهي مغروسة في التراب (Haddadou , 2000, p. 163)

شكل 4: رسم السنبل على الأواني الفخارية بمنطقة خنشلة



المصدر: Moreau , 1976, p. 157

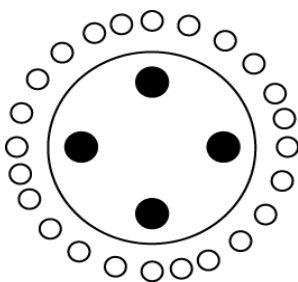
3.2.. الزخرفة الهندسية:

1.3.2.. الدائرة:

يمثل هذا العنصر في مجمله عند المرأة العقد كما أن له دلالات أخرى نذكر منها على سبيل المثال إحاطة الكواكب وهي الممثلة في الدوائر الصغيرة بالقمر وهو الممثل في الدائرة الكبيرة، كما تعني أيضا إحاطة الأبناء بأمهاتهم (Moreau , 1976, p. 105)

لقد كثر استعمال رمز الدائرة عند الشعوب القديمة وهذا للاعتقاد السائد عندهم بقدسية هذا الشكل لأن -حسبهم- القوى الروحية جعلت كل شيء في الطبيعة مستديرا كالشمس والقمر والأرض، وعلى هذا الأساس فعلى الإنسان أن يقدس الدائرة لأنها كل شيء في الحياة (بلال العلي، 2012، صفحة 84)

شكل 5: رسم الدائرة على الأواني الفخارية بمنطقة خنشلة



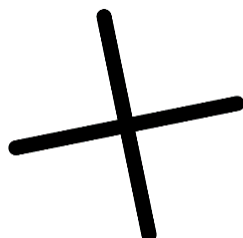
المصدر: Moreau , 1976, p. 105

2.3.2.. صليب رباعي الفروع:

إذا كان مستقيماً على شكل "+" فهو رمز للتوسع في الجهات الأربعة للفضاء (Moreau, 2015, p.

172)، أما إذا كان على شكل "X" فهو رمز للوقت (Moreau, 2015, p. 150)

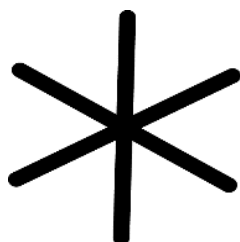
شكل 6: رسم الصليب الرباعي على الأواني الفخارية بمنطقة خنشلة



3.3.2.. صليب سداسي الفروع:

هو رمز للحركة والفضاء، والصلابة التي توحى بالحكمة (Haddadou , 2000, p. 165)

شكل 7: رسم الصليب السداسي الفروع على الأواني الفخارية بمنطقة خنشلة

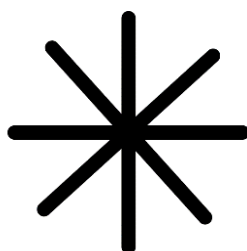


4.3.2.. صليب سداسي الفروع:

يمثل هذا الرمز الصليب الرباعي وهو في حالة دوران لذلك أضيفت علامة "X" للدلالة على

الحركة، وقد استعملت هذه الزخرفة كرمز للتجديد (Moreau, 2015, p. 172)

شكل 8: رسم الصليب الثماني الفروع على الأواني الفخارية بمنطقة خنشلة



3.. نماذج من الفخار التقليدي الخاص بمنطقة خنشلة:

جدول 1: بطاقة تقنية للآنية الأولى

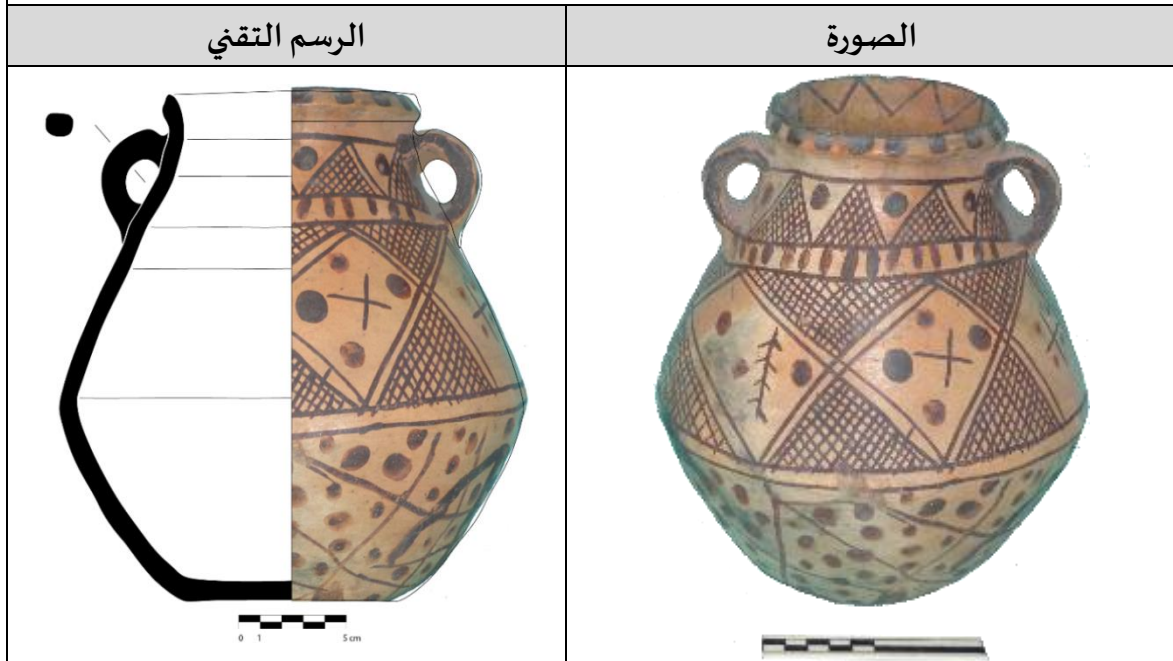
البطاقة رقم 01				
رقم الجرد	اسم الأنية	المصدر	الشكل والنمط	الوظيفة
03-424-97	إناء	بابار -خنشلة-	مفتوح	التقديم
المقاسات			مكان الحفظ	
ق: 14 سم	إ: 9.3 سم	س: 0.8 سم	المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية	
الوصف: إناء فخاري مشكل باليد من طينة حمراء فاتحة عليها بطانة من نفس لون العجينة بقاعدة بسيطة ومستوية، وبدن نصف كروي بزاوية منكسرة في الوسط ينتهي بحافة بسيطة محدبة، ثبت عليه مقبض ذو نتوء بطريقة عمودية يربط الحافة بوسط البدن. نفذت على الأنية من الجهة الداخلية زخرفة هندسية باللون الأحمر قوامها دوائر متراكبة تم تحقيقها بواسطة أصبع اليد، أما الجهة الخارجية فقد حمل نصفها السفلي أشرطة غليظة والنصف العلوي مثلثات بها خطوط متقاطعة، كما تمت زخرفة أعلى المقبض بزخرفة هندسية عبارة عن مثلث نتج عن رسم خطوط متقاطعة تم تلوين المساحات المتقاطعة في وسطه على شكل معينات صغيرة، وقد نفذت كل هذه الزخارف مباشرة على الأنية دون وضع أرضية.				
الصورة			الرسم التقني	

جدول 2: بطاقة تقنية للآنية الثانية

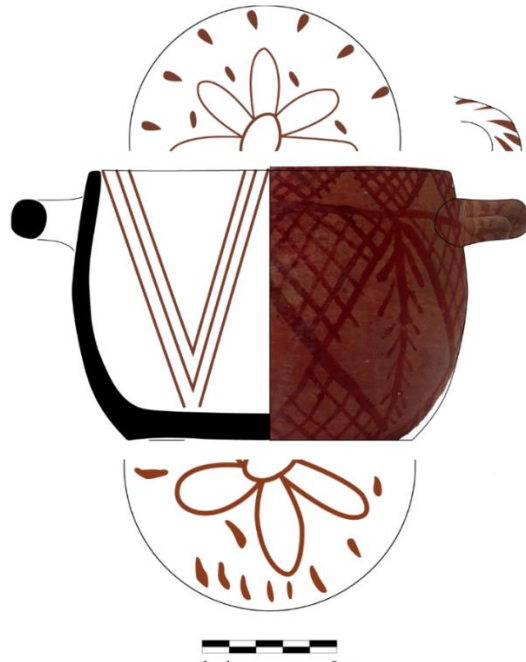
البطاقة رقم 01				
رقم الجرد	اسم الآنية	المصدر	الشكل والنمط	الوظيفة
II.C.379	قلة	خنشلة	مغلق	التقديم
المقاسات			مكان الحفظ	
ق: 10 سم	إ: 23.6 سم	س: 0.9 سم	المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة	



الوصف: قلة فخارية شكلت باليد من طينة حمراء فاتحة تغطيها بطانة من نفس لون العجينة، بقاعدة بسيطة وبدن بيضوي ذو زاوية انكسار منفرجة تميل إلى الجهة الداخلية، ينتهي بحافة بسيطة تميل نسبياً إلى الجهة الخارجية، ثبت أسفلها مقبضان عموديان متقابلان. نفذت على الأنية زخارف هندسية بتقنية الفرشاة وأصبع اليد باللون البني القاتم مباشرة على البطانة دون استعمال أرضية للزخرفة، قوامها ثلاث أشرطة زخرفية، بحيث حمل الشريط السفلي مجموعة من النقاط الغليظة تتخللها خطوط رقيقة متقاطعة، أما الشريط الثاني فضم مجموعة من المثلثات المتقابلة رأسياً بطريقة عمودية محدثة معينات مفرغة تمت زخرفتها بزخارف هندسية ونباتية، في حين حمل الشريط العلوي مجموعة من المثلثات تفصل بينها نقاط غليظة، كما زخرفت حافة الأنية بنفس النقاط الغليظة من الجهة الخارجية وبخط منكسر من الجهة الداخلية. تظهر على الأنية آثار الحرق.



جدول 3: بطاقة تقنية للآنية الثالثة

البطاقة رقم 03				
رقم الجرد	اسم الأنية	المصدر	الشكل والنمط	الوظيفة
03-287-97	وعاء	بابار-خنشلة-	مغلق	الطهي
المقاسات		مكان الحفظ		
ق: 13 سم	إ: 10 سم	س: 1 سم	المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية	
الوصف: وعاء فخاري شكل باليد من طينة حمراء تغطيها بطانة من نفس لون العجينة، بقاعدة بسيطة مستوية وبدن دائري، ثبت على الجزء العلوي منها مقبضان أفقيان. نفذت على الجهة الداخلية للآنية زخارف نباتية على القاعدة تتخللها مجموعة من النقاط كما زين أعلى البدن بخطوط متوازية ومنكسرة مشكلة مجموعة من المثلثات. كما حمل الوجه الخارجي نفس النوع من الزخارف حيث زين أسفل بنفس الزخرفة النباتية الموجودة على الجهة الداخلية للآنية، أما البدن فقد نفذت عليه مجموعة من المثلثات المتقابلة تتوسطها زخرفة نباتية، يعلو هذه المثلثات شريط آخر من المثلثات، كما زينت المقابض أيضا بمجموعة من الخطوط.				
الصورة		الرسم التقني		
				

جدول 4: بطاقة تقنية للآنية الرابعة

البطاقة رقم 04				
رقم الجرد	اسم الأنية	المصدر	الشكل والنمط	الوظيفة
03-166-97	مصباح زيتي	خنشلة	مغلق	الإضاءة
المقاسات		مكان الحفظ		
ق: 6 سم	إ: 6.2 سم	س: 0.6 سم	المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية	
الوصف: مصباح زيتي فخاري شكل بالقالب من طينة حمراء فاتحة كسيت ببطانة ذات لون أحمر، ذو خزان دائري يرتكز على قاعدة مركبة وتعلو الخزان فتحة مركزية مستوية للتهوية، ثبت عليه ممسك بسيط يقابله مباشرة مثعب صنبوري يرتفع نسبيا على سطح الخزان. تزين المصباح من الجهة الخارجية العلوية زخارف هندسية نفذت بتقنية الحز، كما نفذت على جوانبه زخارف هندسية بتقنية الفرشاة باللون الأسود على أرضية حمراء.				
الصورة		الرسم التقني		
				

4.. خاتمة:

تعرفنا من خلال هذا البحث المتواضع على جانب من جوانب التراث اللامادي لمنطقة خنشلة التي تعتبر جزءا من منطقة الأوراس وهذا من خلال دراسة دلالات بعض المظاهر الزخرفية الخاصة بها والتي لاحظنا استعمالها من طرف المرأة الريفية على الأواني الفخارية التقليدية الخاصة بالمنطقة.

يتضح لنا جليا أن المرأة الريفية بمنطقة خنشلة قد استعملت هذه الزخارف بتقنيات مختلفة كالحز والضغط والفرشاة، هذه الأخيرة يمكن اعتبارها الأكثر استعمالا مقارنة بالتقنيات المعروفة، كما أنها نفذت مباشرة على الأواني دون وضع أرضية للتزيين عكس ما نجده في مختلف مناطق الريف الجزائري كمناطق قلمة وجيجل وتيزي وزو.

سمحت لنا هذه الدراسة بمعرفة مختلف أنواع العناصر الزخرفية المستعملة من طرف المرأة في منطقة خنشلة والتي تنوعت بين الزخارف الأدمية والحيوانية والنباتية والهندسية، وهي نفس الرموز والزخارف التي نلاحظها على باقي الفخاريات التقليدية لمناطق الريف الجزائري.

ما يمكن لنا ملاحظته بالنسبة للمواضيع الزخرفية الأدمية والحيوانية أنها جاءت محورة عن صورتها الطبيعية وهذا بسبب تحريم الإسلام لها، لكن رغم هذا فقد حملت رسوم وزخارف توحى إليها. يبقى الأهم من هذا كله هو معرفة مختلف المضامين الخاصة بمختلف هذه الرموز والتي توحى إلى معان مختلفة سواء فيما تعلق بتأثر الإنسان بقوى الخالق وهو ما يظهر في تمثيل الحياة والموت، والتجديد الدوري في الكون أو ما يعرف بتعاقب الفصول الأربعة.

توحى بعض هذه الرموز أيضا إلى تأثر الإنسان بقوى الطبيعة وهو ما جعله يرمز بعدد العناصر الزخرفية إلى مختلف الظواهر الطبيعية المطر والحرارة والضوء وغيرها.

إضافة إلى هذه الإحياءات نجد المرأة الريفية قد جسدت مختلف المعاني النفسية والحميمية ضمن هذه المواضيع الزخرفية كالخصوبة والجمال والأناقة والجسد والأمومة وغيرها من تعابير وهبها الله لها دون غيرها من جنس الرجل.

5.. قائمة المصادر والمراجع:

المصادر باللغة العربية:

- القرآن الكريم

المراجع باللغة العربية:

- الديب (محمد يوسف)، الجمال (كمال مصطفى)، (د-ت)، الفخار، شركة عمان للطباعة والنشر، القاهرة.

- بلال العلي بلال موسى، (د-ت)، قصة الرمز الديني، دراسة حول الرموز الدينية ودلالاتها في الشرق الأدنى القديم والمسيحية والإسلام وما قبله

الرسائل الجامعية باللغة العربية:

- أدول رايح، (2021)، الفخار التقليدي في الوسط الريفي الجزائري-دراسة حالات-، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الريفيّة والصّحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2،

المراجع باللغة الأجنبية:

- Haddadou (M-A), (S.D), *Le Guide de la culture berbère*, Edition Paris-méditerranée, Paris & Edition Ina-yas, Alger.
- Moreau (J.B), (1976), *Les Grands Symboles Méditerranéens Dans La Poterie Algérienne*, Société Nationale d'Édition Et de Diffusion, Alger.
- Moreau (J.B), (2015), *Les Symboles Communs Des Peuples Agraires : Des Berbères Aux Amérindiens*, Edition Dar Khettab, Bumerdes.